وظاهرة باعة الكتب على سور الأزبكية لابد أن تتكرر فى العواصم العربية مع تغيير أسلوبها بأن يكون لباعة الكتب القديمة مكان خاص توفره لهم الدولة ، بحيث يكون لكل بائع مكان أكبر أو أصغر حسب ما لديه من كتب وتساعدهم الدولة بعرض كتبهم القديمة فى معارض الكتب السنوية .

ويمكن أن يتجمع هؤلاء الباعة فى جمعية تعاونية تستطيع برأس مال أكبر أن تؤدى خدمة ضخمة لأصحاب الكتب ولراغبى شرائها أيضا . وهذه الخدمة نحن فى حاجة إليها مع انتشار التعليم وكثرة المتعلمين وإقبال المرأة على القراءة .

وهناك كتب نفدت ولايوجد من يريد إعادة طبعها ولكن يوجد آلاف يتمنون قراءتها .

وفى صحف ومجلات كثيرة فى الخارج توجد أبواب للكتب القديمة يعلن أصحابها عن حاجتهم لكتاب بالذات ، ويعلن آخرون عن بيع كتب معينة لايريدونها فإن الإعلان عن كتاب قديم جيد يحقق مصلحة كبيرة للفرد وللمجتمع أيضا .

وفى ألمانيا الغربية تصدر الصحف ملاحق فى نهاية الأسبوع عن السيارات القديمة وأرقام تليفونات أصحابها ، وهذه هى الوسيلة الأسرع للبيع .

وقد بدأوا الآن يخصصون صفحات ـ لا ملاحق ـ للكتب القديمة . ولا يخجلون من بيع هذه الكتب والإعلان عن ذلك . أما فى العالم العربى فإن المثقف يخجل من بيع كتاب لأنه يعتقد أن ذلك إعلان عن فقره أو أعلان للكافة بأنه قد زهد الكتابة والكتب ، وننسى أن بيع كتاب يفيد قارئاً مهما .

وبائع الكتب القديمة يحقق مصلحة عليا للجميع ولا يخجل من مهنته بل يفاخر بها .

ولكن أغرب ما فى الحكاية أن بعضا من باعة الكتب على سور الأزبكية لايجيدون القراءة والكتابة بل ـ كما يقول المثل الشعبى المصرى ـ « يفكون الخط » أى يقرأون ويكتبون بصعوبة ، ولكن لديهم وعى كامل بقيمة الكتب ، وهم خبراء فى علم النفس يعرفون المثقف من غيره ويعرفون أهمية الكتاب ويقدرون ثمنه ، عندما يحاول المثقف أن يظهر عدم الاهتمام به ، وأنه يشتريه بلا مبالاة مع أنه يبالى ولولا ذلك ما وقف عند هذا السور العتيد !